التناص وتوظيف الموروث
دراسة فنية لنثر الصفدي من خلال كتابه أعيان العصر وأعوان النصر

كرم محمد عبد الكريم (*)

مقدمة

الحمد لله الذي شرفنا بنعمة الإسلام، وهدانا إلى الإيمان والصلاة والسلام على رسوله الصادق الأمين بعثه الله من بين العرب للناس أجمعين، أما بعد

فإنّ الاشتغال بالعلم من أعظم الطاعات وأفضل القربات، لذا خصّه الله تعالى بعناية فائقة فأثنى على العلماء بقوله تعالى" إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ".

وإنّ الأدب العربيّ بما ضمّه من رموز شاعرة وناثرة جدير بأن نستقرئ منه ما تيسّر لنا من هذه الرموز، وبخاصة من أغفلتهم الأقلام وأهملتهم الأبحاث ومنهم الشعراء والنُّثَّار. كما أن الحضارة العربية الأدبية امتازت وتباينت من عصر إلى عصر، فسمت في عصر واستقرّت في آخر.

وإن المكتبة العربية عامرة بكتب التراث التي تحتاج إلى من يكشف كنوزها الأدبية وينشر ما فيها من وقفات أدبية ونقدية يحتاج إليها المهتمون بالدراسات الأدبية والنقدية، وقد وقع اختياري على مصدر مهم من مصادر القرن الثامن الهجري، وهو كتاب (أعيان العصر وأعوان النصر) لصلاح الدين الصفدي، ذلك المصدر المهم الذي يترجم للأعلام الذين أدركهم الصفدي أو لقيهم في حياته، أو أخذ عنهم، أو كانوا في زمنه في جميع أنحاء الخلافة الإسلامية وقد ضم الكتاب بين دفتيه كثيرًا من الشعراء والأدباء والعلماء في تلك الفترة.

ورأيت بعد القراءة المتأنية لهذا الكتاب أنه مصدر مهم لتلك الفترة من تاريخنا العربي، وهو أيضًا مصدر مهم لأدب الصفدي ؛ فقد أورد فيه قدرًا كبيرًا من أشعاره ومساجلاته ومعارضاته وألغازه وموشحاته ورسائله وتوقيعاته، كما أنه بث فيه كثيرًا من آرائه النقدية وملاحظاته على الشعراء والأدباء، مما يظهر منهجه النقدي ويكشف بعض جوانبه.

(*) باحث دكتوراه – قسم اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة سوهاج.

هذا البحث من رسالة الدكتوراه الخاصة بالباحث، وهى بعنوان: "كتاب أعيان العصر وأعوان النصر لصلاح الدين الصفدي توفى ٧٦٤هـ دراسة أدبية نقدية". وتحت إشراف: أ.د/ سهام راشد عثمان ربيع – كلية الآداب- جامعة سوهاج & د. زياد محمد عبدالعال الجبالى – كلية الآداب – جامعة سوهاج.

وأردت من خلال هذا الكتاب أنه أظهر جانبًا من الأدب في العصر المملوكي الذي طالما تعرض له المدعون بالنقد والتجريح، وألصقوا به كثيرًا من التهم، وكانت أحكامهم تتسم بالتعميم، فقد وصف بأنه أدب الصنعة والزخارف، والنكتة والتحسين .

وهذا بحث بعنوان " التناص وتوظيف الموروث " من خلال كتاب أعيان العصر وأعوان النصر لصلاح الدين الصفدي توفي ٧٦٤ ه .

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تنبع أهمية البحث من كونه يتطرق لموضوع جديد - في حدود علمي – ومما دفعني لاختيار هذا الموضوع :

١. الدراسة الفنية لنثر الصفدي من خلال كتاب الأعيان .
٢. رغبتي في التعرف على العصر المملوكي لا سيما الناحية الأدبية من خلال التعرض لأحد أعلامه وهو صلاح الدين الصفدي وكتابه أعيان العصر.

منهج الدراسة:

تقوم هذه الدراسة على المنهج الوصفي فسوف أقوم بعرض المادة الأدبية في الكتاب ثم تحليلها .

وأسأل الله عز وجل التوفيق،،

التناص وتوظيف الموروث:-

يعد التناص أو تداخل النصوص من أحدث المناهج النقدية، وكاد أن يجمع الباحثون في حقول النقد الأدبي على أن الكاتبة الفرنسية " جوليا كرستيفا " رائدة هذا المنهج، وذلك من خلال عدة بحوث لها كتبتها بين عامي (١٩٦٦ - ١٩٦٧م)[١].

وتعرّف " جوليا كرستيفا " التناص على أنه " النقل لتعبيرات سابقة ومتزامنة، وهو اقتطاع أو تحويل" [٢] وقريب من هذا ما يراه " رولان بارت"، حيث يرى " أن كل نص هو نسيج من الاقتباسات، والمرجعيات، والأصداء،

(١) انظر الزعبي، أحمد: التناص نظريًا وتطبيقيًا، إربد، مكتبة الكتاني، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص٩. المديني، أحمد: في أصول الخطاب النقدي الجديد، دار الشؤون الثقافية، العراق، بغداد، ط٢، ١٩٨٩م، ص١٠٢.

(٢) الزغبي، أحمد: التناص نظريًا وتطبيقيًا، ص٩.

وهذه لغات ثقافية قديمة، وكل نص (الذي هو تناص على نص آخر) ينتمي إلى التناص فالاقتباسات التي يتكون منها مجهولة المصدر، ولكنها مقروءة فهي اقتباسات دون علامات تنصيص" [١].

ويستخلص محمد مفتاح تعريفًا لمفهوم التناص من خلال دراسة آراء الباحثين، من أمثال كريستيفا وآرفي ولورانت ورافاتير على أنّهم كما لم يزعم لم يصوغوا تعريفًا جامعًا للتناص – فيقول: " إن التناص هو تعالق (الدخول في علاقة) نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة" [٢].

أما محمد بنيّس فيرى أن التناص، هو النص الغائب، ويرى أنّ النص الشعري هو بنية لغوية متميزة، وليست منفصلة عن العلاقات الخارجية بالنصوص الأخرى، وهذه النصوص الأخرى هي ما يسميها بالنص الغائب، ويرى أن النص الشعري عبارة عن شبكة تلتقي فيها عدة نصوص، لا تقف عند حد النص الشعري بالضرورة؛ لأنه يراها حصيلة نصوص كبيرة، إذ يختلط الحديث بالقديم، والعلمي بالأدبي، واليومي بالخاص، والذاتي بالموضوعي [٣].

ويذكر عبد النبي اصطيف أن الإنسان قارئ قبل أن يكون كاتبًا، فنحن نقرأ ما تيسر لنا من نصوص في مراحل تكويننا الثقافي، والقارئ أيضًا يقرأ نصوصًا مختلفة، والكُتّاب عندما ينشئون النصوص الخاصة بهم ينطلقون في إنشائهم إليها من ضمن نصوص سبق لهم أن يمثلوها، وهذه النصوص تتداخل وتتفاعل فيما بينها، وينفي بعضها الآخر حتى تخرج النص الجديد [٤].

ويوسع جعفر العلاق في تعريفه لمفهوم التناص عندما يقول " إن التناص لا يقصُر حركة النص على النصوص الأخرى فقط بل تجاوزها إلى مظاهر غير نصيّة كثيرة، فقد يكون التناص إيماءة مباشرة، أو غائمة إلى عمل كامل، أو مجتزأ، وقد يكون كذلك تلميحًا إلى شخصية، أو مكان، أو حادثة" [٥].

---

(١) الزغبي، أحمد: التناص نظريًا وتطبيقيًا، ص ٩.

(٢) مفتاح محمد: تحليل الخطاب الشعري، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٣، ١٩٩٢م، ص ١٢١.

(٣) انظر بنيّس، محمد: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، دار التنوير، بيروت، ط٢، ص٢٥١، ١٩٨٥م.

(٤) انظر اصطيف عبد النبي: التناص، ظاهرة قديمة، راية مؤتة، ج٢، ع٢، ص ٥٠ – ٥٤.

(٥) العلاق، جعفر: الشعر والتلقي (دراسات نقدية)، دار الشروق، ط١، ص ١٣٢، ١٩٩٧م.

ويعرف أحمد الزعبي التناص بقوله: " التناص في أبسط صوره يعني أن يتضمن نص أدبي ما نصوصًا أو أفكارًا أخرى سابقة عليه عن طريق الاقتباس، أو التضمين، أو التلميح، أو الإشارة، أو ما شابه ذلك من المقروء الثقافي لدى الأديب، بحيث تندمج هذه النصوص، أو الأفكار مع النص الأصلي، وتندغم فيه لتشكل نصًا جديدًا واحدًا متكاملاً" [١].

ويرى الزعبي أن التناص ليس جديدًا وإنما هو موضوع له جذوره في الدراسات النقدية شرقًا وغربًا، ولكن تحت مسمّيات ومصطلحات أخرى عديدة، فالاقتباس، والتضمين، والاستشهاد، والقرينة والتشبيه والمجاز والمعنى وما شابه ذلك في النقد العربي القديم تدخل في مفهوم التناص بصورة الحديثة (٢).وبما أن نثر الصفدي كثر فيه الاقتباس، والاستشهاد، والتضمين، وحلّ المنظوم والامتثال، يرى الباحث أن يستخدم مصطلح التناص بدل تلك المسميات،، إلا أن التناص هنا يندرج تحت ما يسمى التناص المباشر، إذا يقتبس النص بلغته التي ورد فيها، مثل الآيات، والأحاديث، والأشعار، والقصص[٣]. إلا أن نثر الصفدي في كتاب أعيان العصر لا يخلو من بعض الإشارات إلى التناص غير المباشر، الذي يعتمد الأفكار والإشارات الخفية.

(تناص آيات القرآن الكريم):

النص القرآني يمثل في أذهان الكتّاب المثل الأعلى في صياغته، ومعناه، وفصاحته، وبلاغته، لذا نراهم يكثرون من الأخذ منه وإدراجه في كلامهم؛ ليزيده حكمة وجمالاً، والصفدي واحد من هؤلاء الكتّاب وظّف الكثير من الآيات في نثره، وكان توظيفه لهذه الآيات يغلب عليه أمران، أحدهما: أخذ نص الآية وإضافتها إلى كلامه، وثانيهما: أخذ بعض مفردات الآية محدثًا التقديم، والتأخير، والحذف، والزيادة، وإدماجها في سياقه، وكلا الأمرين لا يخرج عن التناص المباشر لآي الذكر الحكيم، ومن ذلك ما جاء في توقيع بالحسبة: " ولا يزين الإنسان مثل تقوى الله فإنها واسطة العقود في الصفات المحمودة، وزينة

(١) الزعبي: التناص نظريًا وتطبيقيًا، ص٩.
(٢) المرجع السابق، ص٩.
(٣) المرجع السابق، ص ١٦.

الوجود في السمات المشهودة، تصدق يوم القيامة إذا كذبت الظنون، وتنفع يوم لا ينفع مال ولا بنون [1]. وفي هذه الفقرة تناص من الآية الكريمة ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون ﴾ [2] والكاتب هنا يشرع في ذكر الوصايا التي يجب أن يأخذ بها صاحب الحسبة، فتقوى الله من الصفات المحمودة، وتقي الإنسان من الهلاك، ولمّا كان ذلك المنصب ربّما يغري المرءَ ويزيّن الباطل لديه، رأى الكاتب أن يذكّر المولَّى بهذه الآية، التي تنقله إلى مشهد حيٍّ، وهو يوم القيامة.

والكاتب هنا نصَّ على الآية كما وردت في القرآن الكريم نصّاً ودلالة، إلا أنها في النص توحي بالنصيحة المشوبة بالتحذير.

ومن ذلك ما كتبه في تحرك ركب السلطان" ورد المثال العالي يتضمّن حركة الركاب الكريم إلى الأبواب الشريفة فكاد قلب المملوك لتلقيه يطير فرحًا، عطف الزمان ومن فيه مرحًا، ويكون يوم قدومه يوم الزينة" وأن يحشر الناس ضحى" [3].

في هذه الفقرة تناص من الآية الكريمة ﴿ قال موعدكم يوم الزينة وأن يُحشر الناس ضحى ﴾ [4]، ومناسبة هذه الآية شهود جمع سحرة فرعون لتحدي موسى عليه السلام، وذلك في يوم الزينة؛ لكي يجتمع نفرٌ كثير، وتناص الكاتب لها هنا ينزاح عن دلالتها في النص القرآني، فهو يوظّفها لتدلَّ على حشد عدد من الناس لمشاهدة ركب السلطان، والاحتفاء به، وليس التشفي من موسى عليه السلام، ونُصرة السحرة، إلا أنَّ المعنى العام للآية يدل على حالة الزهو والفرح، فهو يوم الزينة وفي النص تحرّك ركب السلطان بقصد الزيارة، فكلا الأمرين يدل على الفرح والسعادة.

ومثل ذلك ما جاء في توقيع بنظر دار الطراز:

" .... ركونًا إلى كفايته التي يزيد جمالها، ويزين ويعيد جلالها، ويبيد كل فض سواها ويبين، ويستحق بمكانتها أن يقال له " إنك اليوم لدينا مكين أمين" [5].

---

(1) الصفدي: أعيان العصر، ٤/٢٦١.
(2) سورة الشعراء: الآية ٨٨.
(3) الصفدي: أعيان العصر، ٤/٣٢٩.
(4) سورة طه: الآية ٥٩.
(5) الصفدي: أعيان العصر، ٥/٢٥١ – ٢٥٢.

هنا تناص من الآية ﴿ فلما كلّمهُ قال إنّك اليوم لدينا مكين أمين ﴾ [١]، يبيّن الكاتب مكانة المولَّى أمْر نظر دار الطراز، فقد توفرت فيه من الخصال ما جعلته مؤهلاً لترتيبه فيها.

وتناص الكاتب لهذه الآية يوحي – ولو من طرف خفي – بمدح المولَّى، فهو يختار بدقة وعناية لوظائفه، فالعزيز لم يقرّب يوسف عليه السلام إلا بعد أن سمع كلامه، وتبيّن من حكمته وسداد رأيه.

فالمعنى الذي أضافته الآية للنص يكمن في الاختبار، والتحقق من الشخص الذي يراد توليته، فدلالة الآية في النص والسياق القرآني واحدة.

ومن هذا القبيل ما كتبه استدعاء:

" .... سالب تيجان الفصاحة في اقتضاء اقتضابها من فرق فرقدها، حتى أبرز كلامه جنان فضل جنان من بعده عن الدخول إليها جبان، وأتي ببراهين وجوهٍ حورها " لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جانٌ" وأبدع خمائل نظم ونثر" [٢].

في هذه الفقرة تناص من الآية ﴿ لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جانٌ﴾[٣]، وهو يتحدث عن فصاحة الشيخ الذي يطلب منه الإجازة، فهو ملك الفصاحة، لا يجاريه فيها مجارٍ، وأتى ببراهين لم يسبق إليها من أهل الأدب، والآية هنا توحي بالسبق، فالحور لم يسبق المؤمنين إليها أنسٌ ولا جانٌّ، مثلما أن الشيخ المُجيز سبق إلى المعاني، وطرقها قبل غيره، فالآية لم تخرج عن السياق العام القرآني، وهي قضية العذرية، إلا أنَّ الكاتب وظّفها لتخدم قضية أدبية، وهي سبق شيخه إلى فض ختام بكريّة بعض المعاني؛ ليؤكد تفرّده في مجال الأدب نظمًا ونثرًا.

ومن تقليد بولاية قاضي القضاة " فلا يولّى من يراه فقيهًا وإذا تولّى سعى في الأرض ليفسد فيها " ولا من اتصف بالجهل ورأى زينة المال والأهل[٤]. هنا تناص من الآية ﴿ وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ﴾ [٥] فهو يحذّر من تولية منْ لا يقدّر المسئولية بل ومنْ يتظاهر بالصلاح، فالمظهر دون الاختبار لا يكفي لتولية المرء بعضًا من أمور الناس، فالآية تصف لونًا من

---

(١) سورة يوسف: الآية ٥٤.
(٢) الصفدي: أعيان العصر، ٣٤١/٥.
(٣) سورة الرحمن: الآية ٥٦.
(٤) الصفدي: أعيان العصر، ٦٠٢/٥.
(٥) سورة البقرة: الآية ٢٠٥.

البشر يتظاهرون بالصلاح، ولكنهم لا يعملون إلا الفساد، فتوظيف الكاتب للآية يحتمل تذكير المقلّد، وتحذيره من أن يقع في خداع هؤلاء الناس، فالآية بقيت أسيرة السياق القرآني، وهي في نصّ الكاتب.

وهناك تناص آخر في النص، وهو من الآية ﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ﴾ [1]، وذلك في عبارة زينة المال والأهل، وهذا النوع من التناص يعمد الكاتب فيه إلى أخذ بعض مفردات الآية ويدمجها في كلامه، إلا أنها تظل ظاهرة في سياقه، فلا تتجاوز التناص المباشر، ومن ذلك ما جاء في حركة الركاب السلطاني" لا زال مقامه الشريف بالتحف ملتحفًا، ومجده المؤثّل بأزهار المحامد روضه أنفًا، وركابه العالي إذا سار أخذت الأرض زينتها ولبست زخرفًا" [2].

في السياق تناص من الآية ﴿ حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازَّيَّنت وظنَّ أهلها أنَّهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهارًا ﴾ [3] فقد أدرج بعض مفردات هذه الآية في سياق كلامه؛ ليدل على مرافقة الخير والبركة لسير حركة الركاب السلطاني.

والناظر في هذا التناص يرى توافقًا عجيبًا بين السياق النصي للآية بعد توظيفها والسياق القرآني، فالكاتب يمدح السلطان، ويرحب به، ويجعل حلوله في تلك البلد جالبًا الخير والبركة، والآية كذلك تحمل ذلك المعنى من خير ورزق وفير، فضلاً عما في الصورة من زينة وزخرف من نبات وأزهار.

ومن هذا القبيل ما كتبه توقيعًا بنقابة الأشراف:

" فهو بيت النبوة الذي أذهب عنه الله الرجس، وطهّره وأعلاه على كلّ ذي شرف باذخ وأظهره، وفرعه من شجرة أصلها ثابت من أبي القاسم كما حرره النقل والنقد وفرعها في السماء" [4].

---

(1) سورة الكهف: الآية ٤٦.
(2) الصفدي: أعيان العصر، ٤/٤٢٩.
(3) سورة يونس: الآية ٢٤.
(4) الصفدي: أعيان العصر، ٣/٣٥١ ــ ٣٥٢.

يظهر في هذه السطور تناص من الآية ﴿ كشجرة طيّبة أصلها ثابت وفرعها في السّماء ﴾ [١] والكاتب هنا يبين فضل آل البيت على من سواهم، وهو ينص كذلك على عراقة أصلهم، وسمو أخلاقهم، فهم كشجرة ثابتة الأول، سامية الأغصان، إلا أن الآية في سياقها القرآني تصف الكلمة الطيبة، فالكاتب تصرّف في ألفاظها بقصد أو بدونه، كما أنه تصرّف في مدلولها، فجعلها تدل على عراقة الأصل، وسمو الخلاق.

ومن ذلك أيضًا ما كتبه توقيعًا بمشيخة دار الحديث النورية: " ولينزل الطلبة منزل البنين في الحنو عليهم عند الهفوة ... ويجعل عليهم حسن وجه الإقبال، وإذا كان المؤمنون أخوة فيوسف أحسن الأخوة حتى يوضح لهم ما أبهم من الأسانيد المظلمة" [٢].

في هذا السياق تناصٌّ من الآية ﴿ إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منّا ﴾ [٣] وفي هذا الجزء من التوقيع يوصي الكاتب المولَّى، وهو الشيخ يوسف بن عبد الرحمن المزي، أحد شيوخ الصفدي ببعض الوصايا، في سياق حديثه عبارة فيوسف أحسن الإخوة، وهو تناص وإشارة إلى الآية السالفة الذكر، إلا أنه حوّر في المعنى لتوافق ما يريده من بيان صفات صاحب التوقيع.

فالمعنى الذي تدل عليه الآية في سياقها القرآني غيْرة إخوة يوسف عليه السلام منه؛ لتمكنه من قلب أبيه، إلا أن المعنى الجديد لها في سياق التوقيع، يشير إلى أفضلية المولَّى على غيره، ممن ينافسونه على تلك الوظيفة.

ومن رسالة كتبها إلى أحد أصدقائه:

" فبللت برؤيته غلَّة الظمأ البرح، وعاينت ما شاده من بيان البيان، فقلت لبلقيس عيني ادخلي الصرح" [٤].

هنا تناص من الآية ﴿ قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجّة﴾ [٥] والتناص هنا في غاية اللطافة، فلم يأخذ الكاتب من نص الآية سوى " ادخلي الصرح" وأضاف كلمة بلقيس، والتي تشير إلى ملكة سبأ صاحبة القصة،

(١) سورة إبراهيم: الآية ٢٤.
(٢) الصفدي: أعيان العصر، ٦٥٦/٥ – ٦٥٧.
(٣) سورة يوسف: الآية ٨.
(٤) الصفدي: أعيان العصر، ٢٣٩/٥.
(٥) سورة النمل: الآية ٤٤.

والكاتب يوظف لنا هذه القصة، لتدل على براعة صديقه في البيان، فقد أشبه بيانه صرح بلقيس الذي أنكرته، فجعل من عينه بلقيس، وأمرها بالدخول إلى ذلك الصرح، والدخول هنا يعني التأمل في بديع بيان صديقه وفصاحته، فهنا يمكن أن يلحظ المرء دلالة لهذه الآية تبتعد عن دلالتها الأصلية، فقد استطاع أن يظهر إعجابه من بيان صديقه من خلال شحن عبارته بقصة بلقيس وصرحها مع سليمان عليه السلام.

والناظر في توظيف الصفدي لآي الذكر الحكيم في نثره في كلتا حالتيه: الحفاظ على الآية نصًا ومعنى، أو حل مفرداتها، يجد المعنى في الإطار العام لا يخرج في الغالب عن المعنى في السياق القرآني، يحوّر المعنى لا يفعل ذلك إلا إذا استدعى ذلك الغرض الذي يتحدث عنه، فهو يأتي بهذه التناصات سواء كانت عن قصد أم بغيره ليدعّم فكرة في ذهنه.

تناص الحديث النبوي الشريف: –

لا يختلف تناص الحديث عند الصفدي عن تناص آيات القرآن، إلا أن تناصه للحديث لا يصل إلى الكثرة التي وجدت في الآيات، وربما يعود هذا الأمر لقداسة النص القرآني.

ومن ذلك ما كتبه منشورًا بإمرة واحد وأربعين رمحًا:

" وقد اقتضت آراؤنا الشريفة تغيير اقطاعه ليقوى حزبه على الحرب، وينتفي من يكون أمامه من أبناء الطعن والضرب، وتمرح به كُمت الجياد في الأرسان/ ... فالفتوح تيسّر للدين القيم بالحتوف والجنة كما قال صلى الله عليه وسلم تحت ظلال السيوف" [1] في هذه الفقرة تناص مباشر للحديث الشريف " واعملوا أن الجنة تحت ظلال السيوف "[2].

فالمقام الذي يتحدث فيه مقام حرب وطعان، فمن يريد النصرة في الحرب لابد من اهتمامه بقادته وجنوده، فموضوع المنشور الإقطاع، ولما كان من مستلزمات الضرب والطعن التعبئة المادية، وهي هنا زيادة إقطاعه، تداعت إلى

(1) الصفدي: أعيان العصر، ٣٨٧/٤.

(2) البخاري، محمد بن إسماعيل، (ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م) ، صحيح البخاري، طبعة الأوفيست، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،٢٠٨/٣.

فكر الكاتب التعبئة المعنوية المتمثلة في ثواب المجاهدين يوم القيامة، فلذلك وظّف الحديث الشريف لخدمة هذه القضية، وزيادة على ذلك ذكره كاملاً ونصّ على عبارة " كما قال صلى الله عليه وسلم " فهذه العبارة توحي بالحث، والتحريض على الشهادة في سبيل الله، وتناصه للحديث على هذه الصورة يدل على أهمية الحديث، فمفردات الحديث قليلة لكنّها جامعة، وإذا حذف منها شيئًا ربما لا تؤدي الغرض الذي يرمي إليه.

ومن تناصاته للحديث الشريف ما كتبه بنقابة الأشراف وجاء منه: " ... فبصرّهم المحجة، ولقنهم الحجة، وأقل الأقسام الإمساك عما عاصروه ولا عالجوا جرحه المؤلم، ولا شاهدوا فتنه التي كانت كقطع الليل المظلم" [١]. في هذا السياق تناصٌّ إلا أنه أدخل في التناصية من التناص السابق؛ وذلك لعدم ورود الحديث كاملاً، بل اكتفى الكاتب بتوظيف الجزء الذي رآه مهمًا، لذا فقد أدخل مفردات الحديث في سياق كلامه دون الإشارة إلى ذلك، والحديث هو " تكون بين يدي الساعة فتن كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا يبيع أقوام دينهم بعرض من الدنيا " [٢].

جاء توظيفه هذا الحديث في معرض كلامه عن النُّصح لنقيب الأشراف، فهو يذكره بكثرة الفتن التي تحدث في أوساطهم عن أمر الخلافة، فالكاتب يحذر النقيب من الخوض في مسألة الأحقية في تولي الخلافة، وهذه قضية مختلف عليها قبل عصر الصفدي، فكان توظيفه الحديث تحذيرًا من الانزلاق في فتن جديدة قد تحدث للمسلمين، ولما كان هذا الحديث من علامات يوم القيامة، يرمي الكاتب إلى إشعار النقيب من خلاله بحساسية موقعه، وخطورته، ومن ناحية أخرى في توظيف الحديث، يلحظ إدماجه في كلام الكاتب حتى كأنه منه لا ينفصل عنه.

ومن تقليد بولاية قاضي القضاة جاء منه " فلا يولي من يراه فقيهًا " وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها" [٣] ولا من اتصف بالجهل، ورأى زينة المال

---

(١) الصفدي: أعيان العصر، ٣ /٣٥٥.

(٢) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى(٢٧٩هـ/٨٩٢م)، سنن الترمذي، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ٤/٤٢٣.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٠٥.

والأهل، بل يتحرّى من أمورهم ويتبع معاملتهم في غيبتهم، وحضورهم، فأنت بما إليه الأمر يؤول، وكلكم رعٍ وكل راعٍ مسئول" [١].

في هذا الجزء من التقليد تناص من الحديث الشريف: " كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته والأمير راع والرجل راع في بيته والمرأة راعية على بيت زوجها وولده فكلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته" [٢].

وفي هذا السياق يقدم الكاتب وصية للمولّى بأن لا تخدعه مظاهر الشخص، وادعاؤه الصلاح، بل عليه تحري الدقة في الاختيار، وفي الوقت ذاته يذكره بمسئوليته عن كل ما يحدث ممن هم تحت إمرته.

وقد تصرّف الكاتب في بعض ألفاظه؛ لتوافق سجعاته إلا أن الحديث ظل محافظًا على معناه العام، وهو تحمل المسئولية وأعبائها.

وفي هذا الموضوع يرى الناظر أن الكاتب يوظف الحديث الشريف مع المحافظة على المعنى العام له، إلا أنه قد يحوّر ويغير في بعض ألفاظه، لخدمة قضية معنوية، أو لفظية، كقصر الحديث على فئة دون غيرها، ومثال ذلك تناصه السابق كانت الفئة المراد تحذيرها من يتولون بيت المال، وفي التناص السابق له الفئة المستهدفة الأشراف ونقيبهم.

أما القضية اللفظية التي تحكم الكاتب فهي مجاراة ألفاظ الحديث لعباراته المسجوعة، فهو يحذف ويؤخر ويقدم من أجل إقامة السجعة، ومثاله تناصه للحديث السابق.

تناص الشعر " حل المنظوم ": –

أكثر الصفدي من تناصه لحلِّ المنظوم لرواجه في عصره، فيقول شيخه الحلبي في هذا الأمر: " وكيفية الحل أن تتوخى هدم البيت المنظوم، وحل فرائده من سلكه، ثم يرتب تلك الفرائد وما شابهها ترتيب متمكِّن لم يحصره الوزن، ولا اضطرته القافية، ويبرزها في أحسن سلك، وأجمل قالب، وأصحُّ سبك، ويكملها بما يناسبها من أنواع البديع إذا أمكن ذلك من غير كلفة" [٣].

---

(١) الصفدي: أعيان العصر، ٥ /٦٠٢.
(٢) البخاري: صحيح البخاري، ١٥٢/٦.
(٣) الحلبي: حسن التوسل، ٣٢٥ – ٣٢٦.

ومن تناصه للشعر، ما كتبه مشتاقًا إلى ابن سيد الناس " فما كل كاتب يده فم، ولسانه فيه قلم، ولا كلّ متكلّم حُسْن بيانه تأتم الهداة به كأنّه علم" [١].

يظهر في كلامه تناصٌّ من بيت الخنساء:

أغرُّ أبلج تأتم الهداة به كأنّه علم في رأسهِ نارُ[٢]

وقد وظّف الكاتب بعض مفردات هذا البيت بعد حلّه، من الملاحظ على توظيفه، أن البيت قيل في موضوع الرثاء، فالخنساء قالته في تأبين أخيها صخر إلا أن الكاتب جعله في معرض حديثه عن المدح، ولا يرى الحلبي في ذلك بأسًا حيث يقول: " وله أن ينقل المعنى إذا لم يفسده إلى ما شاء الله، فإنه كان نسبيًا، وتأتّي له أن يجعله مديحًا، فليفعل" [٣].

فالكاتب نقل معنى البيت من مقام الرثاء إلى المدح، وفي الوقت ذاته استطاع أن يجعل المفردات التي اجتزأها من البيت تدخل في سياق كلامه، وتنضوي تحت نظام سجعاته.

ومن الأمثلة كذلك ما كتبه توقيعًا بالخطابة فجاء منه:

" لأنه في هذا العصر بحمد الله تعالى أفضل من عفَّ ومن برَّ، وأفصح خطيب لو كُلّف مشتاق فوق ما في وسعه لسعى إليه المنبر" [٤].

في هذه الفقرة تناص من بيت البحتري: -

فلو أن مشتاقًا تكلّف غير ما في وسعه لمشى إليك المنبر[٥]

يتحدث الكاتب في هذا التوقيع عن تعيين خطيب، ولذا تداعى إلي ذهنه بيت البحتري لما فيه من ذكر للخطيب، فالكاتب يمدح المولَّى عندما نصَّ على بعض مفردات هذا البيت، علمًا بانّ البيت كان في مدح الخليفة المتوكل، لذا فقد حافظ الكاتب على معنى البيت في سياق حديثه، والناظر هنا يرى الكاتب لم يغيّر

---

(١) الصفدي: أعيان العصر، ٥ /٢٤٠.

(٢) الخنساء، تماضر بنت عمرو (٢٤هـ/٦٤٤م) الديوان، تحقيق أنور أبو سويلم، جامعة مؤته، دار عمار، الأردن، ط١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، ص٣٢٦.

(٣) الحلبي: حسن التواصل، ص٣٢٦.

(٤) الصفدي: أعيان العصر، ٦٢٧/٥.

(٥) البحتري: الديوان، تحقيق حسن كامل الصيرفي، ط٣، دار المعارف، ١٠٧٣/٢.

كثيرًا في ترتيب مفردات البيت سوى تغييره للضمائر، فقد نقل الحديث من المخاطب إلى الغائب، زيادة على بعض الحذف والتقديم.

ومن ذلك ما كتبه توقيعًا بتوقيع صفد: " رسم بالأمر العالي لا زال يزيد بدور أوليائه كمالاً، ويفيد سفور نعمائه جمالاً، ويعيد ونور آلائه على من بهر بفوائده التي غدا سحر بيانها حلالاً ..."[1].

في هذه الفقرة من التوقيع تناصٌّ من بيت ابن الرومي: -

وحديثها السحر الحلال لو أنه لم يجن قتل المسلم المتحرزِّ[2]

فالمكتوب له بالتوقيع بهر بفوائد بيانه، وفصاحته، حتى غدا سحر ذلك البيان حلالاً، فالمعنى الذي يحمله البيت وهو وصف حديث المتغزَّل بها هو المعنى عينه الذي تتضمنه عبارة الكاتب، إلا أن الكاتب وصف بيان ممدوحه، لذا فإنه نقل المعنى من الغزل إلى المدح، وعلى الرغم من تركه لكثير من ألفاظ البيت إلا أن المعنى بقي محافظًا عليه، وظهر ذلك من خلال زيادته بعض الألفاظ التي تخدم ما رمى إليه الكاتب، وفي هذا الشأن يقول الحلبي: " وإذا أراد الحلَّ بالمعنى فلتكن ألفاظه مناسبة لألفاظ البيت المحلول غير قاصرة عنه" [3].

ومن الأمثلة على التناص ما جاء في التوقيع ذاته:

" والفاضل الذي ألقى إليه فضل الرسن، ومج السهاد فم جفنه وغيره قد ذرّ الكسل فيها فترة الوسن، وبهر في مذهبه ... والخطيب الذي يعلو صهوة المنبر فيعرفه وإن لم يضع العمامة" [4].

ويلحظ هنا تناص من البيت المشهور: -

أن ابن جلا وطلاّع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني[5]

---

(1) الصفدي: أعيان العصر، ٤٠٧/٤.

(2) ابن الرومي، أبو الحسن علي بن العباس، الديوان، تحقيق حسين نصار، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٦م، ج٣، ص١١٦٤.

(3) الحلبي: حسن التوسل، ٣٢٦.

(4) الصفدي: أعيان العصر، ٤٠٨/٤.

(5) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (٩١١هـ)، شرح شواهد المغنى، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ج١، ص ٤٥٩.

فالكاتب أراد أن يبرز موقعه، فجعله أعظم قدرًا من الحجاج وسحيم[١] قائل البيت فهما يعرفان عند وضع العمامة، بينما موقعه يعرف دون أن يضعها، وهذا ظاهر من خلال قلبه لدلالة البيت، وذلك بنفيه الذي أحدثه في توظيفه لبعض مفردات البيت، وعكسه للمعنى لغرضٍ، وهو تفرّد ممدوحه عن غيره، وربما فعل ذلك لئلا يربط صورة ممدوحه بصورة الحجاج، الذي عرف بتسلّطه وجبروته، فعكس معنى البيت ليدلنا على أن ممدوحه لا يتصف بصفات الحجاج الممقوتة.

" ... ويوضح أحوال الرواة الذين سلفوا، فليس ذاك بعيب وما بميت إيلام، ويتم بما اطّلع عليه من تدليس فما أحسن روضة هو فيها تمام، ويسرد تراجم من مضى من القرون التي انقضت فكأنها وكأنهم أحلام" [٢].

هنا يظهر تناص لبيت المتنبي وآخر لبيت أبي تمام:

فالتناص الأول من بيت أبي الطيب المتنبي: -

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرحٍ بميتٍ إيلام[٣]

يوظف الكاتب هذا الجزء من البيت ليدل على أن من تولّى أمر قضية معينة فعليه أن ينصح لها، ولا يحابي، ولا يخشى في قول الحق لومة لائم، فالكاتب يوصي العالم بأن يتحقق من أحوال الرواة السابقين، وإظهار ما أفسدوه في أمر الأحاديث، ويكشف كذلك سقطاتهم ويظهرها عليهم؛ لأن هذا الأمر لا يحتمل الصبر عليه، لذا أنزلهم الكاتب منزلة الميت الذي لا يشعر بمن يطعنه، وذلك لتغافلهم عن سلوك الجادة.

وفي الفقرة تناص آخر، وهو من بيت أبي تمام: -

ثم انقضت تلك السنون وأهلها فكأنها وكأنهم أحلام[٤]

---

(١) سحيم بن وثيل الرياحي شاعر مخضرم، انظر: الجمحي، محمد بن سلام (٢٣١هـ/٨٤٥م)، طبقات فحول الشعراء، شرحه، محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ج٢، ص ٥٧٦.

(٢) الصفدي: أعيان العصر، ٢٩٥/٤.

(٣) المتنبي: الديوان بشرح العكبري، ضبطه وصححه ووضع فهارسه مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري، عبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت، ج٤، ص٩٦.

(٤) أبو تمام: شرح الصولي لديوان أبي تمام، دراسة وتحقيق خلف رشيد نعمان، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ج٢، ص١٣٧.

ففي حديثه عن تراجم القرون السابقة، ومعرفة أحوالهم، تداعى لذهنه انقضاء القرون وأهلها، فأدخل بعض بيت أبي تمام؛ ليدلل على رأيه.

ومن كتاب بشارة النيل:

" وشرب دم المحل فهو من تحت حبات القلوع كالقهوة، واتصف بصفات الأولياء،فبينما هو أقصى الجنوب إذا هو أقصى الشمال، والأرض للرجل خطوة، وأسبح في طلب تخليقه مجّدًا، وأعد للجدب من تياره سابغة وعدّاء علندى" [١].

في الفقرة السابقة من وصف تيار الماء عند كسر الخليج تناص من قول عمرو بن معدي كرب:-

أعددت للحدثان سا بغة وعدّاء علندى [٢]

فالشاعر يفخر بنفسه، ويظهر فروسيته، وشجاعته، بينما الكاتب يوظّفه في تصوير شدة تيار الماء، فالمعنى الجامع بين الأمرين الشدة والصرامة، فالشاعر يصارع نوائب الدهر، ويعدُّ لها العدّة الكفيلة بالانتصار عليها، والتيار المائي كذلك يحارب الجدب والقحط، ويحل الخصب مكانه، فكلاهما يقف في وجه الشّرّ وينصر الخير.

ومن مرسوم كتبه بنيابة قلعة صفد:

" وبعد فإن ثغر صفد المحروسة من الحصون المشيدة، والمعاقل الفريدة، قد طاولت النجوم شرفاته، وتلهبت ذبالة الشمس في سراجه، ونفض الأصيل زعفرانه على بياض أبراجه، كم لانت الغمائم على هامته عمائم" [٣].

الناظر في الفقرة يلمح تناصًا من بيت ابن خفاجة:

يلوث عيه الغيمُ سودٌ عمائم لها من وميض البرق حم ذوائب[٤]

وهذا البيت من قصيدة يصف فيها جبلاً لأخذ العبرة والعظة، فالكاتب عندما أخذ بعض ألفاظ البيت أراد أن يقرّب صورة قلعة صفد العالية من صورة ذلك الجبل

---

(١) الصفدي: أعيان العصر، ٣٣٠/٤.

(٢) الزبيدي، عمرو بن معدي كرب، شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي، جمعه وحققه مطاع الطرابيشي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ص٦٣.

(٣) الصفدي: أعيان العصر، ١٠٨/٤.

(٤) ابن خفاجة: الديوان، تحقيق سيد غازي، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط٢، ١٩٧٩م، ص ٢١٦.

الشاهق الصامد على مرّ العصور، فالكاتب على الرغم من أخذه لمفرداتٍ قلائلَ من البيت، إلا أن المعنى قد بقي حاضرًا في ذهنه، فقد شُحِنت تلك المفردات بمعنى البيت.

وفي موضع آخر مما كتبه توقيعًا " ولما خلت الآن هذه الوظيفة السنيّة، والرتبة العليَّة العلويّة، من النقيب عماد الدين موسى بن جعفر – قدّس الله روحه – تطاول كلُّ عرابة، لتلقي راية مجدها بيمينه" [١].

في هذا السياق يجد القارئ تناصًا لبي الشماخ بن ضرار: -

إذا ما راية رفعت لمجدٍ تلقاها عرابة باليمين[٢]

وهذا البيت في مدح عرابة بن أوس الصحابي الجليل [٣]، ولما كان المقام يستدعي من يسدّ في شغل الوظيفة مسدّ المتوفى، بادر كل من يرى في نفسه الكفاءة، فكل من بادر منهم هو عرابة، والكاتب يرمي من وراء ذلك لإبراز مكانه النقيب؛ حيث إنه لم يصل إلى تلك الرتبة إلا لتميّزه وثمة ملمح طريف وهو تعدد عرابة في التوقيع، بينما نجد عرابة واحدًا في البيت، إلا أن المعنى بقي واحدًا وهو المدح.

تناص الأمثال: –

بالإضافة إلى تناصه للآيات والأحاديث والأشعار، نجد في نثر الصفدي شيئًا من تناص الأمثال، ولا يتعدى تناصه للأمثال عن تناصاته السابقة في التوظيف، وإدخالها في سياق كلامه، فهو إمّا أن يبقي على المثل كاملاً في سياق حديثه عن قضية ما، أو يأخذ من المثل بعض مفرداته، ولكن مع ضمان الحفاظ على معناه.

وغالبًا ما يأتي بتناص الأمثال في حديثه عن الوصايا التي تكون في رسائله الديوانية، ومن ذلك ما كتبه بتوقيع صفد: -

---

(١) الصفدي: أعيان العصر، ٣٥٢/٣.

(٢) الشماخ: الديوان، تحقيق صلاح الدين الهادي، دار المعارف، ص ٣٣٦.

(٣) صحابي جليل كان مشهورًا بالجود وله أخبار مع معاوية. انظر: ابن حجر، أحمد بن علي، الإصابة في تمييز الصحابة، دار الفكر، ج٢، ص٤٧٣.

" والوصايا كثيرة، وهو غنيٌّ عن شرحها، مليٌّ بحراسة سرحها، فلا يهدي إلى هجرة منها تمرة، ولا يُلْقَن إلى بحره منها دُرّة" [١].

والناظر في هذا الجزء اليسير من التوقيع يجد تناصًا للمثل " كمستبضع التمر إلى هجر" والكاتب أورده هنا لكي يدلل على أن المولَّى خبير بالأمور مجرّب لها، يحتاج إلى كثير وصايا.

والكاتب عند تناصه لهذا المثل لم يترك من مفرداته إلا اليسير، لكي لا يفقد المثل معناه، والمثل لا يجوز حله إلا بألفاظه؛ وذلك لشيوعه بين الناس، وندرة تردده في الكلام[٢].

ومن توقيع بالتدريس: -

" على انه – أدام الله أيامه – هو الذي يشرّع الوصايا لأربابها، ويعلّم المتأدب كيف يأتي البيوت من أبوابها، وإنما أخذ القلم على نصيبه، وأتى بنكت، ومن علّم العوان الخمرة كانت منه عجيبة [٣].

ففي هذه الفقرة تناصٌّ للمثل: " العوان لا تُعلَّم الخِمْرةُ [٤] والكاتب هنا يرفع من قدر المدرّس، ويجعله في مرتبة أعلى من أن يُنبَّه إلى بعض الوصايا، فكما أن المرأة العاقلة لا تعلم الخمرة، فكذلك ذلك المدرس.

والمثل على قلة ألفاظه إلا أنه يحمل معنى كبيرًا فإدراجه في كلامه يشحنه بذلك المعنى، ويقويّه، ويؤكدّه ما ذهب إليه من عدم حاجة المدرس إلى نصائح وإرشادات، ووصايا.

---

(١) الصفدي: أعيان العصر، ٤٠٨/٤.

(٢) انظر ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين، نصر الله بن محمد الشيباني، (٦٣٧هـ)، الوشي المرقوم في حل المنظوم، تحقيق جميل سعيد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٠٤٩هـ/١٩٨٩م، ص٥٩.

(٣) الصفدي: أعيان العصر، ٢٧٤/٣ – ٢٧٥.

(٤) العسكري، أبو الهلال الحسين بن عبد الله (٣٩٥هـ/١٠٠٤م)، كتاب جمهرة الأمثال، حققه وعلق حواشيه ووضع فهارسه محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج٢، ص٣٨.

وفي توقيع كتبه بنقابة الأشراف: -

" وأنت أيّها السيّد – أعلى الله قدرك – أدرى بهذه الأمور أنّك جُهينة أخبارها، وحقيبة أسرارها، التي توجد عند أخبارها دون أشرارها" [١].

هنا يلمح تناص للمثل " عند جُهينة الخبر اليقين" [٢] والكاتب يسوق هذا المثل ليبرهن على معرفة المخاطب، ودرايته بالأمور.

ومن اللافت للنظر أن الصفدي يورد الأمثال غالبًا في معرض حديثه عن الوصايا، وربما يعود ذلك لأن المثل يحمل معنى كبيرًا، يغني الكاتب عن كلام كثير، ووصايا جمَّة.

والكاتب كذلك يحافظ على مفردات المثل، وخاصة البارزة منها، وغالبًا ما يكون تناصه للمثل لغرض الاستدلال، وإثبات الحجة التي يعالجها.

تناص الأعلام والبلدان: –

أكثر الصفدي كذلك من تناصاته لمشاهير العلماء في نثره، وكان أغلب تناصاته للأعلام يأتي في معرض حديثه عن شخصية متميزة في فنٍّ من الفنون ، فعند ذلك يحشد مجموعة من الأعلام المشهورين في ذلك الفن؛ ليجعل شخصيته التي يتحدث عنها أعلى مرتبةٌ منهم.

ومن ذلك ما كتبه استدعاء: -

" ... والنحوي الذي تركت لمعة الخليل أخفش، وأعرت الكسائي ثوب فخره الذي بهر به سيبويه أدهش، فأبعد ابن عصفور حتى صار عن مقرّبة، وأمات ابن يعيش لما أخلق مُذهبه... والطبيب الذي تحلّى من أبقراط، وسقط عند درجته سقراط، فالفارابي ألفاه رابيًا، وابن مسكويه أمسك عنه محاشيًا، لا محابيًا، وابن سينا انطبق قانونه على جميع جزئياته وكليّاته، وطلب الشفاء والنجاة من إشاراته وتنبيهاته" [٣].

---

(١) الصفدي: أعيان العصر، ٣/٣٥٥.

(٢) الميدلني، أبو الفضل، أحمد بن محمد النيسابوري (٥١٨هـ/١١٢٤م)، مجمع الأمثال، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ج٢، ص٣.

(٣) الصفدي: أعيان العصر، ٥/١٥٥ – ١٥٦.

فالناظر في النص السابق يجد تناصات كثيرة لعلماء نبغوا في فنون مختلفة، والكاتب يرمي من وراء ذكرهم إلى تصور العلوم التي نبغوا فيها من جهة، ومن جهة أخرى إلى تفرّد شيخه عنهم جميعًا .

ومن ذلك ما كتبه إلى أحد أصدقائه: -

" يقبّل الأرض حيث ابن مقلة لتلك الكتابة شاخص، والفاضل لذلك الترسل ناقص، والميداني لتلك البلاغة على عقبيه ناكص" [١].

ففي هذه العبارات الموجزة تناصات لبعض الأعلام الذين برزوا في حسن الخط، أو الرسائل، أو البلاغة، فكل منهم على الرغم من شهرته في فنِّه، إلا أنّه قد استسلم لما رأى من كتابات صديق الكاتب، التي لا يجرؤ أحدٌ منهم على مسايرتها، وفي ذلك مبالغة ظاهرة.

ومن منشور كتبه:

" قد احتكم إلى يمينه السيف والقلم، ونطوى على نشر العلم والعلم، ونقص عند أقوامه زيد الخيل، وشاب من شجاعته عامر بن الطفيل، وعجز ابن عساكر عن حفظه" [٢].

والناظر هنا يجد بعض تناصات لمشاهير في أمور مختلفة، ولكنّهم أما من يتحدث عنه الكاتب يقفون وقفة انكسار، واستسلام؛ لأنه فاقهم ولم يستطيعوا مجاراته في هذه الصفات، وهذا ديدنه عند الحديث عن أيّة شخصية.

ومن توقيع بنظر الجوالي: -

" ومضت له مدة في الشام والسعد يقول: هذا في مصر يكون عزيزًا"[٣].

ففي الجزء اليسير المقتبس من التوقيع، يلمح الناظر تناصًا في مفردتي مصر، والعزيز، حيث يقفزان بذهن القارئ إلى مصر قديمًا زمن العزيز، فهو أقرب إلى التناصِّ غير المباشر.

والكاتب هنا يستحضر قصة يوسف عليه السلام مع عزيز العزيز، وذلك كون المولَّى في التوقيع يوسف بن أبي بكر.

---

(١) المرجع السابق: ٧٧/١.
(٢) المرجع السابق: ٣٨٧/٤.
(٣) الصفدي: أعيان العصر، ٦١٨/٥.

وجاء في تقريض على تخميس للبردة: -

" وقفت على التخميس الذي طُرِّز طرسه، وسُقي الفضل غرسه، وجلا للعين عرسه، ونوّع في البديع جنسه، ونوّل أهل البديع أنسه، وساق إلى طيبة بأحمال المدائح عنسه" (١).

في هذه الفقرة تناص من مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وهي طيبة، والكاتب وظّف هذه المفردة لعلاقتها الوثيقة بالرسول صلى الله عليه وسلم فمجرد ذكر اسمها يقفز إلى الذهن ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم ولما كانت البردة في مدحه صلوات الله عليه وسلامه، جعل تخميسها كذلك هديّة إلى مدينته لينتظرها هنالك.

النتائج والتوصيات:

- **الناظر في توظيف الصفدي لآي الذكر الحكيم في نثره يجد الحفاظ على الآية نصًا ومعنى، أو حل مفرداتها، ويجد المعنى في الإطار العام لا يخرج في الغالب عن المعنى في السياق القرآني، يحوّر المعنى لا يفعل ذلك إلا إذا استدعى ذلك الغرض الذي يتحدث عنه، فهو يأتي بهذه التناصات سواء كانت عن قصد أم بغيره ليدعّم فكرة في ذهنه**
- **الصفدي يوظف الحديث الشريف مع المحافظة على المعنى العام له، إلا أنه قد يحوّر ويغير في بعض ألفاظه، لخدمة قضية معنوية، أو لفظية، كقصر الحديث على فئة دون غيرها .**
- **أكثر الصفدي من تناصه لحلِّ المنظوم لرواجه في عصره.**
- **يحافظ على مفردات المثل، وخاصة البارزة منها، وغالبًا ما يكون تناصه للمثل لغرض الاستدلال، وإثبات الحجة التي يعالجها**
- **أكثر الصفدي كذلك من تناصاته لمشاهير العلماء في نثره .**
- **يوصى الباحثون بضرورة الكشف عن خزائن كتب التراث الأدبية في العصر المملوكي .**

(١) المرجع السابق: ٣٧٦/٣.

المراجع

١) ابن الأثير، أبو الفتوح ضياء الدين نصر الله بن محمد الشيباني (ت٦٣٧هـ/١٢٣٩م)، الوشي المرقوم في حل المنظوم، تحقيق جميل سعيد، مطبعة المجمع العلمي، العراق (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).

٢) ابن الرومي، أبو الحسن على ابن العباس، الديوان، تحقيق حسين نصار، مطبعة دار الكتب، القاهرة ١٩٧٦م.

٣) ابن خفاجة، أبو إسحاق إبراهيم(ت٥٢٣هـ/١١٣٧م)، الديوان، تحقيق سيد غازي، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط١٩٧٩،٢.

٤) أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي، الديوان بشرح الصولي، دراسة وتحقيق خلف رشيد نعمان، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، دون تاريخ.

٥) أحمد الزعبي: التناص نظريًا وتطبيقيًا، مكتبة الكتاتي، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٦) اصطيف، عبد النبي، التناص ظاهرة قديمة، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٧) البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد، الديوان، تحقيق حسين كامل الصيرفي، دار المعارف، ط٣ .

٨) البخاري، محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ/٨٦٩م)، صحيح البخاري، طبعة الأوفيت، دار الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ.

٩) بنيّس، محمد، ظاهرة الشعر المعاصر في الغرب، دار التنوير، بيروت، ط٢ ١٩٨٥م.

١٠) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى،ت٢٧٩هـ/٨٩٢م)، سنن الترمذي، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ.

١١) جعفر العلاق، الشعر والتلقي، دراسة نقدية، دار الشروق، عمان، ط١، ١٩٩٧.

١٢) الجمحي، محمد بن سلاح (ت٢٣١ه،/٨٤٥م)، طبقات فحول الشعراء، شرحه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، دون تاريخ.

١٣) الحلبي، شهاب الدين محمود (ت ٧٢٥هـ/١٣٢٤م)، حسن التوسل في صناعة الترسل، تحقيق ودراسة أكرم عثمان يوسف، دار الرشيد للنشر، العراق ١٩٨٠م.
١٤) الخنساء، تماضر بنت عمرو (ت٢٤هـ/٦٤٤م)، الديوان، تحقيق أنور أبي سويلم، دار عمار، الأردن، ط١ (١٤٠٩هـ/١٩٨٨م).
١٥) السيوطي، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١/١٥٠٥م) شرح شواهد المغنى، منشورات دار مكتبة الحياة، دون تاريخ.
١٦) الشماخ، ابن ضرار، الديوان تحقيق صلاح الدين الهادي، دار المعارف.
١٧) الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م)، أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق على أبي زيد وآخرين، دار الفكر ، دمشق، ط١، ١٩٩٨م.
١٨) العسكري، أبو هلال الحسين بن عبد الله (٣٩٥هـ/١٠٠٤٠م)، كتاب جمهرة المثال، حققه وعلق حواشيه ووضع فهارسه محمد أبو الفضل إبراهيم، وعبد المجيد قطامش، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
١٩) عمرو بن معدي كرب الزبيدي، شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي، جمعه وحققه مطاع الطرابيشي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق (١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.
٢٠) المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين (ت٣٥٤هـ/٩٦٥م)، الديوان بشرح العكبري، ضبطه وصححه ووضع فهارسه مصطفى السقا وآخرون، دار المعرفة، بيروت، دون تاريخ.
٢١) محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٣، ١٩٩٢.
٢٢) الميداني، أبو الفضل احمد النيسابوي (ت٥١٨هـ/١١٢٤م)، مجمع الأمثال، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا- لبنان ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.